الشعر الملحمي :

الملحمة قصة شعرية بطولية قومية تقوم على خوارق الامور . وتختلط فيها الحقائق بالاساطير . وتتغلغل العقائد الدينية والروحية في ثناياها(١٣) يتميز الشعر الملحمي بخصائص وسمات لعلّ اهمها :

اولا : يكون مضمون الملحمة عادة اعمال وبطولات بطل قومي تعتز به الامة . وتشمل هذه الاعمال الحروب والرحلات التي تكتنفها الاهوال والمصاعب .

ثانيا : يغلب الخيال الجامح على الشعر الملحمي . ويتمثل هذا الخيال في الخوارق والاساطير التي تختلط بالحقائق التأريخية . فنجد الالهة والقوى والكائنات الغيبية تؤدي دوراً كبيراً في احداث الملحمة .

ثالث : الطول اذ تتميز الملاحم في الاداب كافة بالطول فتأتي الملحمة في آلاف الابيات . من هنا يطلق بعض الباحثين الملحمة على كل قصيدة طويلة .

رابعاً : الموضوعية : ان الشعر الملحمي شعر موضوعي وليس ذاتياً وذلك لاننا لانجد فيه اثراً لشخصية الشاعر وصفاته . فهو لايتحدث عن نفسه . وانما عن غيره من البشر . على نقيض الشعر الغنائي الذي يقصر فيه الشاعر حديثه على نفسه .

خامسا : فخامة الاسلوب : نظمت الملاحم القديمة بلغة رفيعة واسلوب سامٍ فلا ضعف . ولا ابتذال . ولا ركاكة في لغتها .

اقدم الملاحم التي وصلت الينا ملحمة كلكامش العراقية التي يعود تأليفها الى الالف الثاني قبل الميلاد . ونصها الكامل يقع في اثني عشر لوحاً . عثر على معظمها في مكتبة اشور بانيبال في نينوى . تحت عنوان (هو الذي رأى كل شيء) . وهي تدور على اعمال ومغامرات البطل السومري كلكامش ولاسيما رحلته بحثاً عن سر الخلود بعد موت صديقه انكيدو (١٤) تقع الملحمة في ثلاثة أقسام رئيسة . يدور الاول على الاعمال البطولية لكلكامش وصديقه انكيدو . ويروي الثاني قصة الطوفان

---

(١٣) محمد مندور ، الادب وفنونه ، ص ٤٤

(١٤) للملحمة ترجمتان ، ترجمة نثرية قام بها طه باقر ، وترجمة شعرية قام بها عبدالحق فاضل تحت عنوان (هو الذي رأى) .

وحصول رجل الطوفان على الخلود . على حين يدور القسم الثالث على مسألة الموت والعالم السفلي .

ومن الملاحم القديمة التي حظيت بشهرة واسعة . ملحمتا اليونان الالياذة والاوديسة المنسوبتان الى هوميروس الذي عاش في القرن التاسع قبل الميلاد .

اشتق اسم الملحمة الاولى (الالياذة) من اليون احد اسماء مدينة طروادة التي تدور عليها احداث الملحمة . ان موضوع الملحمة هو الحرب التي دارت بين الاغريق والطرواديين بسبب اختطاف احد امراء طروادة ملكة اليونان هيلانة . ممّا يدفع الاغريق الى ان يجهزوا جيوشاً جرّارة ومحاصرة طروادة عشر سنين . لكن الملحمة لاتصور الا الاحداث التي تقع في الشهور الاخيرة منها . واهمها النزال الكبير الذي يدور بين بطل الاغريق اخيل وبطل الطرواديين هكتور . وانتصار الاول على الثاني . وتتغنى الملحمة التي تقع في اربعة وعشرين نشيداً بامجاد البطل الاغريقي اخيل وبطولاته وافعاله الحميدة .

أما الاوديسة التي سميت باسم بطلها اودسيوس . فتصور الاحداث والاهوال التي تصادف هذا البطل الاغريقي في اثناء رحلته الى بلاده بعد انتهاء حرب طروادة . تلك الرحلة التي تستغرق عشر سنين . وتنتهي نهاية سعيدة اذ يصل الى بيته سالماً . وينتصر على اعدائه الذين كانوا يحاصرون بيته طالبين الزواج من زوجته .

ثمة شكوك حول نسبة هاتين الملحمتين الى هوميروس . وفي هذا تعددت الاراء وتفرعت ممّا ادّى الى ظهور مايسمى المشكلة الهومرية . تتلخص المشكلة في عدة اراء . يقول الرأي الاول ان الالياذة ليست باكملها من نظم هوميروس . وانما نظم هوميروس عدداً من اناشيدها . أما باقي اناشيدها فقد نظمها جماعة من الشعراء المقلدين . وحجتهم في ذلك ان الكتابة لم تكن قد عرفت حتى ذلك التاريخ . وان الذاكرة لم تكن باستطاعتها ان تعي هذا الانتاج الضخم . اذ يبلغ طول الالياذة مايزيد على خمسة عشر الف بيت من الشعر . وعلى الرغم من ان هذه النظرية قد سادت زمناً طويلاً . لقيت معارضة شديدة ابتداء من منتصف القرن التاسع عشر عندما اكدّ بعض النقاد ان الالياذة من نظم شاعر واحد . وايدهم الناقد البلجيكي البرت سيفيرنس الذي عكف على دراسة الملحمة زهاء ربع قرن . واستند في دراسته الى ادلة لغوية وتاريخية اكدت انها من نظم شاعر واحد هو هوميروس وان مابها

من تناقض في بعض الاجواء . يرجع الى الاضافات او التعديلات التي ادخلت عليها من بعده . واتخذ النقاد الموقف نفسه من ملحمة الاوديسة . لكن الاوديسة كانت اكثر تماسكاً غير انها مع ذلك اثارت مشكلة اخرى . اذ زعم بعض النقاد ان ناظم الاوديسة شاعر اخر غير ناظم الالياذة . فقد لاحظوا وجود خلافات في بعض الالفاظ ونهايات الاعراب . لكن المفارقات البسيطة التي عثروا عليها لاتنهض دليلاً قوياً على صحة ماذهبوا اليه . (١٥)

وفي الوقت نفسه لاحظ بعض الباحثين وجود اوجه شبه بين الملحمة العراقية كلكامش وهاتين الملحمتين . مما جعلهم يذهبون الى القول بتأثر هوميروس بملحمة كلكامش . ففيما يخص ملحمتي كلكامش والالياذة . نجد ان موت الصديق في كلتا الملحمتين يدفع بالفعل الملحمي الى امام . فموت انكيدو يدفع كلكامش الى رحلة البحث عن الخلود . وموت باتروكلس يدفع اخيل الى المشاركة في الحرب التي كان قد انسحب منها . وأما مايخص ملحمتي كلكامش والاوديسة. فيلاحظ ان الموضوع الرئيس فيهما هو البحث . بحث البطل عن التجربة والخبرة . وبحثه عن الخلود . خلود الاعمال العظيمة حدّ المخاطرة بالحياة . عندما يتعذر الحصول على خلود الاعمار . كما يلاحظ فيهما تشابه في البناء الفني القائم على ركائز ثلاث : هوية البطل . اسفاره ومغامراته لتعزيز الهوية البطولية . وعودته الى الوطن بجسد هدّة التعب . ولكن بعقل اغنته التجارب(١٦) .

وللرومان ملحمة معروفة هي الانيادة لشاعر الرومان فرجيل . سميت الملحمة باسم بطلها اينياس مؤسس روما القديمة . لانها تدور على رحلاته من طروادة وحياته في ايطاليا والحروب التي خاضها حتى انتصاره على اعدائه المتوحشين وتأسيس مدينة روما التي تصبح عاصمة الامبراطورية الرومانية . ان الموضوع الرئيس للملحمة هو امجاد روما ومصيرها في عهد الامبراطور الروماني اغسطس بوصفه مؤسسها الثاني . وهي تقع في اثني عشر جزءاً . قضى فرجيل في نظمها عشر سنوات .

---

(١٥) حلمي عبدالواحد ، خصائص التشكيل الفني في الياذة هوميروس ، مجلة عالم الفكر ، المجلد ١٦ ، العدد الاول ـ ١٩٨٥ ، ص ٤٨ ـ ٤٩ .

(١٦) سلمان الواسطي ، ملحمة كلكامش العراقية ، مجلة اداب المستنصرية ، عدد ٨ ـ ١٩٨٤ ، ص ٨٩ ـ ٦٤ .

عرفت اوربا فيما بعد اعمالاً شعرية طويلة سميت تجوزاً ملاحم . وان لم تكن في الواقع كذلك . وذلك لافتقارها الى الخصائص الرئيسة للملحمة كما استمدت من الملاحم القديمة . واهم هذه الاعمال (الفرنسياد) للشاعر الفرنسي رونسار . و (الكوميديا الالهية) للشاعر الايطالي دانتي . و (الفردوس المفقود) للشاعر الانكليزي ملتون . و(اسطورة القرون) للشاعر الفرنسي فكتور هيجو .

مات الشعر الملحمي في العصور الحديثة . لانه ماعاد يتلاءم وطبيعة هذه العصور . وذلك لان الملحمة كانت وليدة عهود الفطرة والسذاجة حين كان الانسان ينظر الى الكون نظرة اسطورية . ولا يعرف الموازين المنطقية . على نقيض العصور الحديثة التي لم تعد تؤمن الا بالعقل والمنطق اللذين يرفضان الاسطورة والخيال الجامح .

أما الشعر العربي . فالشائع انه لم يعرف الشعر الملحمي الا ان نصوصاً وردت في بعض المصادر القديمة . يُستشف منها ان الادب العربي القديم عرف الملحمة . وقصد بها نوع من الشعر يصف مايجري على الدول والامم من احداث وشجون ووقائع ممّا يعد تنبوءاً بالمستقبل عن طريق الاستدلال عليه باحكام النجوم . ونقلت كتب الادب طرفاً من قصائد سميت بالملاحم كقصائد ابن ابي عقب وابن سينا وابن العربي . ولاتختلف الملاحم العربية بهذا المعنى عن الملاحم اليونانية الا في شيء واحد هو ان الملاحم العربية القديمة كانت تقص ماعسى ان يكون من احداث الامم والدول في المستقبل المغيَّب . على حين تقص الملاحم اليونانية وغيرها قصصاً تاريخية تختلط بالاساطير .(١٧) .

وفي الوقت نفسه . عرف الادب الشعبي العربي ملاحم وسيراً يجمع اسلوبها بين الشعر والنثر . وتدور على ابطال تاريخيين تصورهم وهم يتحلون بقدرات خارقة . ويختلط فيها الخيال بالتاريخ . وتتسم بالطول اذ تأتي في عدة مجلدات . ولا يعرف مؤلفوها مثل سيرة عنترة بن شداد . وسيرة سيف بي ذي يزن . وسيرة الاميرة ذات الهمة .

واليك انموذجاً من ملحمة كللكامش . يمثل ماجاء في الرقيم الاول من مآثر كلكامش وحكمته ومعرفته الواسعة :

---

(١٧) محمد شوقي امين ، الملاحم بين اللغة والادب ، مجلة عالم الفكر ، مجلد ١٦ ـ العدد الاول ـ ١٩٨٥ ، ص ٢٣٠ .

هو الذي رأى كل شيء فغنى بذكره يا بلادي
وهو الذي عرف جميع الاشياء وافاد من عبرها
وهو الحكيم العارف بكل شيء
لقد ابصر الاسرار وكشف عن الخفايا المكتومة
وجاء بانباء ماقبل الطوفان
لقد سلكَ طرقاً بعيدة متقلباً ما بين التعب والراحة
فنقش في نصب من الحجر كل ما عاناه وخبر
بنى اسوار الوركاء المحصنة
وحرم اي ـ انا المقدس والمعبد الطاهر
فانظر الى سورة الخارجي تجد افاريزه تتألق كالنحاس
وانعم النظر في سوره الداخلي الذي لا يماثله شيء
اعلَ فوق اسوار الوركاء
وامشِ عليها متأملاً
تفحص اسسَ قواعدها وآجر بنائها
أفليس بناؤها بالآجر المفخور
وهلا وضع الحكماء السبعة اسسها ..(١٨)

الشعر التمثيلي :

الشعر التمثيلي او المسرحي هو الشعر الذي ينظم لاليقرأ او ينشد . بل ليمثل على المسرح . ومن اهم خصائصه :

اولاً : الغاية الرئيسة من نظم هذا النوع من المسرح التمثيل وليست القراءة ولهذا يسميه بعض النقاد الشعر الحركي لانه يقترن بالحركة التمثيلية على خشبة المسرح .

ثانياً : يعتمد الشعر التمثيلي اساساً على الحوار . والشعر التمثيلي ليس الا حواراً . وتكون وظيفة الحوار تحريك الاحداث وتطويرها . والكشف عن الشخصيات وابعادها .

(١٨) ملحمة كلكامش . ص ٥١ ـ ٥٣ .